في ٦ آذار ٢٠٠٨

إلى إخوتي الخمسة

«ما بالكم خائفين هذا الخوف؟ ألى الآن لا إيمان لكم؟» (مرقس ٤: ٤٠)
«فإن الله لم يعطنا روح الخوف بل روح القوّة والمحبّة والفطنة» (٢طيم ١: ٧)

ما بالكم خائفين هذا الخوف؟ قد يبدو سؤال السيد المسيح لتلاميذه، للوهلة الأولى، على شيء من الغرابة. أليس من الطبيعي أن يخاف المرء أمام الخطر والموت؟ نعم، ولكنّ ما ينتظره المسيح ممن تتلمذوا له أن يرتقوا إلى ما فوق الطبيعة ولو بعض الشيء، يتوقع منهم أن يعيشوا في الإيمان. لأجل ذلك أتبع سؤاله الأول بسؤال آخر يحمل في طياته بعض التعجّب والعتب قائلاً: «ألى الآن لا إيمان لكم؟ « أما أدركتم بعد كل مسيرتنا معاً أني معكم بل اني فيكم وانتم فيّ ؟
الخوف في نظر المسيح يحمل في طيّاته ما يتناقض والإيمان. الخوف يعمي بصيرتنا فننشغل بما هو آني. هو يجعلنا ننسى حقيقة ما نحن عليه في عمق ذواتنا، ينسينا اننا «هيكل الروح القدس» وان «ملكوت الله في داخلنا»، واننا خلقنا على صورة الله ومثاله». الخوف يجعلنا ننغلق على ذواتنا ونبني حواجز بين الاخر وبيننا متناسين ان الآخر أيضًا «هو هيكل الروح القدس...» وانه خلق على صورة الله ومثاله». الخوف يدفع إلى التردد والإحجام عن الإلتزام في الحياة.
إنّ في الخوف شيء من الموت في وقت أن في الإيمان ثقة وإقدام. الخوف يقود في نهاية المطاف الى العنف والى الموت، انه يعمي البصيرة ويكبّل الإنسان ويقوده إلى الإنغلاق على ذاته. هذه كلّها من علامات الموت الروحي والنفسي.
الخوف ينسيني حقيقتي فيغيب عن ذهني «ان الله لم يعطني روح الخوف بل روح القوة والمحبة والفطنة».
القوة والمحبة والفطنة مثلث ينبض بالحياة الحقيقية ؛ الفطنة وعي لحقيقة ما انا عليه ؛ ان الله معي وفيّ وعلى صورته خلقت، وأنني في مسيرة نحوه. الفطنة تجعلني أعي إيماني فأتذكّر أنني، مع الخوف الذي هو جزء من الطبيعة، أحمل يسوع المسيح ابن الله في ذاتي، «وأنني لست أنا الحي بل هو حي فيّ».
والمحبة انفتاح وتفان في سبيل الآخر، إنها التقاء بين صورة الله التي فيّ وصورة الله التي فيه، التقاء في الله الذي هو محبّة، إنها انتقال من الموت إلى الحياة «نحن نعلم أننا انتقلنا من الموت إلى الحياة لأننا نحب إخوتنا، ومن لا يحب بقي رهن الموت.» (١يو ٣: ١٤)
والقوة هي اللحمة التي تجعلني اثابر في وعي ما انا عليه وفي انفتاحي وصدقي وتفاني ، فلا تخور قواي امام المصاعب او افقد الأمل في حال فشلت ؛ انها الثقة

الحقيقية في النفس وفي الله، هذه هي حضارة الحياة. ان كان الخوف يضعني على طريق الانهيار والموت، فالثقة التي هي وليدة الفطنة والمحبة والقوة تجعلني أعيش في حضارة القيامة.

ان في قصة تهدئة العاصفة شاهد على مسيرة كل منا في هذه الحياة. عندما تواجهنا الهموم والمصاعب اليست ردة فعلنا الأولى هي الخوف كما حدث للتلاميذ؟ وكأننا نسينا اننا هياكل الروح القدس واننا مدعوون الى ان «نتقوى في الرب وفي قدرته العزيزة»؟ (افسس٦: ١٠) مدعوون إلى أن نوقظ الله الساكن في اعماق ذواتنا والذي يجلل حياتنا فيسكّن العاصفة في نفوسنا وينقلنا من الخوف الى الثقة، ونتذكر «اننا لسنا غرباء او نزلاء بل نحن من ابناء الله ووطن القديسين ومن أهل بيت الله»؟ (افسس٢: ١٩).

الموت الجسدي نهاية ليس لنا ما نقوله او نقرره فيها ، وهو بالنسبة الينا ، نحن الذين اعتمدنا بيسوع المسيح، الولوج الى الحياة الجديدة الدائمة والنهائية في الله. لذلك يبقى الأهم بالنسبة الى المؤمن المسيحي ان يعيش حياته كلها في روح قيامية تجددية في الله ، بعيدًا عن روح الخوف الذي يجعلنا نتردّد وننغلق على انفسنا وننعزل وكأننا في غربة عن الله وعن ذواتنا الحقيقية.

بعدما مات المسيح وظن التلاميذ انه غاب عن حياتهم، تملكهم الخوف فأغلقوا الأبواب على ذواتهم وانعزلوا «خوفاً من اليهود». وعندما اتى اليهم من جديد «فرحوا» لمشاهدته. لقد نقلهم حضوره من الخوف الى الفرح. والتلميذان اللذان فقدا كل أمل وتركا اورشليم عائدين الى بلدتهما عماوس «مكتئبين»، عندما سار معهما وفسر لهما الكتب . . . فتحت اعينهما وعرفاه. (لوقا٢٤: ١٣ – ٣١) هذا يعني أنهما كانا في حال من الغيبوبة والضياع وفقدان البصيرة ، ففي مسيرته معهما وولوجه إلى داخل بيتهما ومجالسته لهما بدد منهما ذاك الإكتئاب المكبّل ووضعهما على طريق العودة إلى الحياة من جديد، طريق العودة الى اورشليم ، العودة الى ذواتهما واليه ، وإلى خدمة الناس والشهادة للقيامة. لقد نقلهما، حينما عرفاه، من آلام اليأس والاكتئاب الى حال من الرجاء والثقة، فكأنه اقامهما من موتهما الروحي الى الحياة الحقيقية التي ما عادا من بعدها يعرفان الخوف، بل راح كل منهما يحمل البشارة ويواجه رسالته في الحياة غير آبه بالسجن والاضطهادات وغير خائف حتى من الموت. لم يعد الموت الجسدي يخيفهما لأنهما وعيا حقيقة حضور الله معهما وهو يرافقهما فأدركا « أن الله أعطاهما روح القوة والمحبة والفطنة»، وكأني برحلة حياتهما قد اكتملت فانتقلا من الخوف واليأس الى الفرح والثقة، من حال الموت الى حال القيامة. هذه دعوتنا وهذا هو التحدي. فلنضرع إلى الله ونعمل معه ليوقظنا هو من غيبوبتنا، وينقذنا من الخوف ، ويحررنا من العبودية والأنانية ، إذ أن في هذه كلها موت ، وفيه هو وحده الحياة والقيامة.

المطران بولس صيّاح
رئيس أساقفة حيفا والأراضي المقدّسة